العمل الدعوي من خلال المؤسسات
(أساسه، ميزاته، كيفيته)

د. زيد بن عبد الكريم الزيد

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

فبين يدي هذا البحث عن العمل الدعوي من خلال المؤسسات أوجز النقاط التالية:

١ ـ إن حياة البشر وسعادتهم ورقيهم ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمحافظة على الدين، وكم من أمة أهلكت بانحرافها عن طريق الهداية، ومن نجا منهم من العذاب الدنيوي فحياتهم كالأنعام بل هم أضل.

٢ ـ لا غنى لهذه البشرية في أي جيل أفراداً كانوا أو جماعات عن الدين، يؤكد هذا تتابع بعثة الأنبياء لتقيم المعوج وتهدي الضال وترد الشارد وتذكر الغافل. وتستقيم حياة الناس ما قام فيهم دين الله ويعاودها الانحراف كلما خبت فيها جذوة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ولهذا كانت الدعوة إلى الله هي عماد حياة الأمة واستقرارها واستمرارها راشدة مهدية، ولكي يُحفظ للأمة هذا الاستقرار يجب أن يكون منطلق الاهتمام هو أساس هذا الاستقرار وعامله الرئيس وهو إحياء وإنماء وظيفة الدعوة إلى الله في نفس كل مسلم، لتستمر رسالة الدين وتبقى وظيفته، وتُؤدى واجباته، وتظهر آثاره على مسرح الحياة في الناس.

٣ ـ إن الدعوة إلى الله ـ من هذا المنطلق ـ لصيقة بالمجتمع تخاطب أفراده وجماعاته صغارا وكبارا، وتتعامل عن قرب مع المؤثرات فيه، وهي متغيرة متطورة، ولذلك يجب أن تسير الدعوة في تخطيطها ووسائلها وأساليبها مع حاجة المجتمع لكي تنفذ فيه، وتصل رسالتها إليه بأمن وسلام.

٤ ـ إن التغيّر الكبير في المجتمع سواء على المستوى المحلي أو العالمي، واتساع الرقعة وتضاعف البشرية، وتهيؤ الجديد من الوسائل و الأساليب والإمكانات التي لم تكن متاحة من قبل، كل هذا يستدعي أن تكون الدعوة ـ تخطيطا وتنفيذا وتقويما ووسيلة وأسلوبا ـ ذات مستوى يتلاءم مع مكانتها والحاجة إليها وما لديها من مقدرات و إمكانات كبيرة مراعًى في ذلك كله حاجة المجتمع الذي تعمل فيه وظروفه وتلك مسئولية لا يمكن أن يقوم بها الجهد الفردي وحده. لذلك يجب أن تتضافر تلك الجهود من الأفراد والمجتمعات لتنهض بالدعوة إلى الله في إطار دعوي مؤسسي مشترك يحقق البلاغ المبين المطلوب من هذه الأمة مصداقا لقوله تعالى ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾[1].

أهمية العمل الدعوي في المجتمع

يقول الرسول ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٢]. فالأصل في بني آدم هو سلامة الفطرة، والفطرة هي الإسلام[٣]، ولكن يطرأ عليها الانحراف تحت أي عامل أو ظرف يزيغه في حياته بعد ذلك.

وقد جاءت بعثة الأنبياء لتحافظ على هذه الفطرة ولترد المعوج منها إلى الصواب والرشد مرة بعد أخرى حتى جاءت بعثة نبينا محمد ﷺ وكانت رسالته هي الخاتمة، وتحملت أمته واجب الدعوة إلى الله والقيام على المجتمعات بالإرشاد والإصلاح.

وقامت بالدعوة إلى الله في مراقبة المجتمع وإعادته إلى جادة الرشد مرة بعد أخرى، والدعوة إلى الله هي صمام الأمان في المحافظة على بقاء الدين ابتداء وانتهاء وإنماء، فإن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى تحمي المجتمع من الغلو في مختلف أوجه الحياة، لأن الغايات التي يسعى إليها الداعي إلى الله هي إقامة العدل وإحياء فريضة الوسطية في الدين، وتلك غاية كبيرة من غايات الرسل جميعا[٤] يقول تعالى: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾[٥] فالرسل أرسلوا والكتب أنزلت لأجل تحقيق تلك الغاية العظيمة في حياة الناس ﴿**ليقوم الناس بالقسط**﴾ وهو العدل[٦] فلا إفراط ولا تفريط بعيدا عن كل صفة من صفات الغلو أو التقصير في حقوق الله أو حقوق الناس أو حقوق النفس.

هذا التوسط الذي يتحقق من خلال جهود الدعاة إلى الله يوفر للمجتمع استقرارا فريدا يجعل أفراده يمارسون حياتهم ويزاولون عباداتهم ويؤدون واجباتهم على نور وبصيرة ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾[٧].

وللدعـوة صلة بالاستقـرار النفسي سواء على المستـوى الفردي أو المجتمع من خلال ما يـوفره العمل الدعوي من توضيح مـا يتعلق بأمور الغيب، ذلك أن ما يخفى على الفـرد أكثر ممـا يعلمه، وهـو بحاجـة ملحة إلى تـوجيه الأمـور الغيبية بالنسبة له توجيها يهيئ له راحة القلب وصفاء النفس.

فالموت ومـا بعده وما أمام الإنسـان من الحساب والجنة والنـار إذا غفل عنها الإنسـان تغير سلوكـه وانحرفت أفكـاره وتشتتت غـاياتـه، أما إذا تم تجليتهـا، وتعـامل معها تعـاملا سليما سمت نفسـه إلى أخـلاق وسلوك وأهـداف سامية تضفي على حياته وحدة الغايـة والهدف، لا تشتت فيها ولا تناقض ولا تعارض تجعله يحمل بين جوانحه نفسا مطمئنة في كل خطواتها[٨].

وعندمـا تتحد الأهـداف تتحد القلـوب، وينمو في المجتمع التـآخي والألفة بدءا من اللقـاء اليومي المتكـرر في المسجد والصـلاة خلف إمام واحـد، وانتهاء بسائر أمور العبـادة الأخرى التي تصب كلها في نهر واحد يتجه نحـو مرضاة الله سبحانه وتعالى.

والحديث عن وحدة الهدف يـذكر بالأثـر الكبير للدعـوة في الوحدة الكـاملة للأمـة الإسلامية، ذلك أن الـوحدة الإسلاميـة تنطلق من وحدة الفكر والثقـافة بالإضـافة إلى وحدة الأهداف والغـايات، و هذا هو الأسـاس المكين لكي تتحد شعوب الأمة الإسلامية.

وللـدعوة إسهـامها في وحـدة الأمة الإسـلامية، كما أن لها الـدور الأسمى في المحافظـة على وجود الأمة واستمـرار مبادئها وسـلامة عقيدتها، وتنميـة العزة في نفـوس أبنائهـا، (وقـد ظهـر أن أمة أو جماعـة ليس فيهـا روح الـدعوة والتقـدم والهجوم لا تحافظ على وجودها وعلى مبادئهـا وعقيدتها وأن موقف المدافع موقف الضعيف المعرّض للخطر، وكل من لا يكـون داعيا يكون هدفا لـدعوة أخرى،

وقد ثبت بالتجربة أن خير وسيلة للإيمان بالمبدأ والثبات عليه ومتانة العقيدة والاستماتة في سبيلها هي الدعوة إليها، فالداعي دائما قوي الإيمان بمبدئه متحمس في عقيدته ونشيط في عمله مستهين بغيره فإذا أردنا أن نخلق في طلبتنا هذه الصفات، وأن يخرجوا من الخطر على دينهم، ونأمن عليهم الاندماج في غيرهم والوقوف في المعسكر المخالف فينبغي لنا أن نجعلهم دعاة فإذا أردنا أن نجعلهم متدينين فينبغي لنا أن نجعلهم دعاة إلى الدين، وقد جربنا ذلك في الهند[٩] فنجحنا نجاحا باهرا»[١٠].

وإن كنا اليوم ندرك الفارق الكبير والسبق الرهيب للغرب على هذه الأمة الإسلامية فإن اللحاق بهذا الركب والاستفادة مما عنده ليس في التركيز على استخدام وسيلتهم فحسب، بل هناك ما هو أعم نفعا وأجدى وهو حمل هذه الدعوة الإسلامية إليهم، وعندها يصبح هذا التفوق ملكا للمسلمين يستفيد منه القاصي والداني في هذه الأمة على حد سواء.

وأخيرا فإن العمل الدعوي في الأمة شهادة تزكية لها، فالخيرية التي وصفت بها الأمة ارتبطت بالقيام بالدعوة، وانتفاء الدعوة انتفاء للخيرية[١١] التي قامت عليها، قال تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[١٢]. وهذه الخيرية المتحققة للأمة بصفتها «أمة واحدة» من خلال الدعوة إلى الله، كأنما تشير إلى جانب مهم وهو أن الاستقرار الأمني والسياسي لهذه الأمة أيضا مرتبط بالدعوة، ومتى انفرط عقد الدعوة لم تكن بعد ذلك «أمة» وإنما أفرادا وأوزاعا شتى.

هذه الصلة الوثيقة بين الدعوة والمجتمع تُلقي مزيدا من المسئولية وتتطلب جهدا متميزا يتناسب وحجم الحاجات والتحديات، لا بد أن تتضافر فيه كل الإمكانات المعاصرة وتسخيرها لتقديم الدعوة للناس بأفضل طريق وأنجح

أسلوب دون أن يمس ذلك المضامين الثابتة للدعوة وهو ما سنفصله في المبحث التالي.

المبحث الأول: الثبات والتغير في العمل الدعوي

من المهم في هذا البحث أن نفرق بين ما يمس المضمون وبين ما يتعلق بالوسيلة والأسلوب، ففي الوقت الذي نحرص فيه على تأكيد وحدة المبدأ والمضمون الدعوي الذي دعا إليه الأنبياء ومن اقتفى أثرهم فإننا في الوقت ذاته نؤكد أهمية بقاء الداعي إلى الله على صلة بمجتمعه وظروفه وحاجاته، وما يترتب على ذلك من انتقاء للوسيلة والأسلوب الملائمين للموقف.

وإن الخلط بين المبدأ والوسيلة والتعامل معهما وفق منظور واحد يؤدي إلى نتائج سلبية تضر بالدعوة والداعية(١٣).

ولو نظرنا إلى المضمون الدعوي الذي قامت عليه الدعوة لوجدنا أن هذا المضمون من القضايا الثابتة من لدن أول الأنبياء آدم عليه السلام وحتى نبينا محمد ﷺ، فكلهم دعاة إلى مضمون واحد هو تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**(١٤)، ويقول الرسول ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)(١٥).

فالدين واحد لم يتعدد في أي عصر أو مصر **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**(١٦)، وداخل هذا الإطار الجامع نجد القضايا التي كانت تتناولها دعوة الأنبياء عليهم السلام اتفقت حينا واختلفت حينا آخر.

اتفقت كلها على البدء بالتوحيد(١٧) يقول الله سبحانه وتعالى **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾**(١٨) فكلهم بلا استثناء

بدءوا بهذه الدعوة ثم بعد ذلك كان لكل نبي اهتمام بإصلاح القضايا التي برزت في قومه. فترى النبي شعيبا يركز بعد التوحيد على التحذير من التطفيف في الكيل والوزن لأنها كانت القضية المنتشرة في مجتمعه[١٩]، يقول تعالى: ﴿**وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط**﴾[٢٠]، في حين أن نبيا آخر بعد أن دعا قومه إلى التوحيد جاهدهم وحذرهم من جريمة اللواط ﴿**ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**﴾[٢١].

لهذا فإن العقيدة هي المضمون الثابت في دعوة الرسل جميعا، وهكذا يجب أن تكون في كل دعوة صادقة خالصة لله سبحانه وتعالى، ثم على الداعية بعد ذلك أن يفتش في قضايا مجتمعه لتكون هي محط تركيزه واهتمامه. وهذا يتفاوت باختلاف البيئات زمانا ومكانا.

ومن هذا نخلص إلى القول بأن المضمون الدعوي ثابت واحد مستقر يقوم على البدء بالتوحيد[٢٢]، ثم يثني على أمراض المجتمع التي يعيش ويعمل فيها الداعية. والأول لا اجتهاد فيه لأحد، أما الثاني فذو مرونة محدودة في التقديم والتأخير حسب اجتهاد الداعية ووفق أحوال المجتمع وظروفه.

الوسائل والأساليب متغيرة بتغير الظروف والمدعوين:

بعد أن بينا أن الثبات هو الأصل في المضمون الدعوي ننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الوسيلة والأسلوب في إيصال هذا المضمون إلى الناس.

ورغبة في التأصيل لهذا الأمر نجد أن الوسائل والأساليب التي سلكها الأنبياء عليهم السلام لم تتفق ـ كما رأينا ـ اتفاقها على قضية المضمون، فمع وحدة المضمون نجد تعدد الوسائل والأساليب لدى الأنبياء عليهم السلام، بل لدى

النبي الواحد تتعدد الوسائل والأساليب حسب اختلاف الزمان والمكان والأحوال.

فموسى عليه السلام أعطي من الآيات التي تناسب المجتمع الذي عاش فيه فكان له التفوق على سحرة فرعون واضطروا أمامها أن يخروا ساجدين لله سبحانه وتعالى لما رأوا من عصا موسى ما لا يمكن أن يصدر من ساحر[٢٣] ﴿**قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين**﴾[٢٤].

وعيسى عليه السلام أعطي من الآيات ما يتناسب مع ما اشتهر في عصره من الطب فجاءهم بما لا قبل لهم به وهو إحياء الموتى وشفاء الأكمه والأبرص[٢٥] قال تعالى: ﴿**ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه[٢٦] والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين**﴾[٢٧].

ويوسف عليه السلام وهو في السجن استطاع أن يقنع من معه في السجن من خلال خلقه وسلوكه الحسن[٢٨] وليس من خلال المعجزات كما فعل عيسى عليه السلام. وقد جاء من معه في السجن يشهدون ليوسف عليه السلام بالإحسان ويفضون إليه ببعض أسرارهم وما رأوه في منامهم فاسترسل معهم في الحديث بعرض دعوته عليهم حتى إذا فرغ من تقرير الوحدانية انتقل بعد ذلك إلى تفسير

رؤياهم، وكل هذا تكيّف في الأسلوب والوسيلة مع الموقف الذي يقتضي ذلك، قال تعالى: ﴿**ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**قضي الأمر الذي فيه تستفتيان**﴾[٢٩].

ومحمد ﷺ دعا عشيرته الأقربين من خلال وليمة أقامها لهم، ففي السيرة أن الرسول ﷺ لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ [٣٠]، جمع عشيرته وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فقدم لهم جفنة فيها طعام، فقال لهم الرسول ﷺ (يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة)[٣١]. واستخدم الرسول ﷺ الجبل لإبلاغ دعوته بشكل أوسع ولجمع وإسماع أكبر عدد ممكن من زعماء قريش وسادتها[٣٢]، واستفاد من الأسواق التجارية والمواسم في عرض دعوته على القبائل العربية والخروج بها خارج نطاق مكة[٣٣].

وإننا نرى دعوته ﷺ يختلف أسلوبها ووسيلتها باختلاف الزمان والمكان، فلم يتجاوز في مكة القول مستغلا تجميع الناس في وليمة أو حول جبل أو في سوق من الأسواق أو ناد من الأندية. أما في المدينة فقد حمل السيف على الأعداء المعارضين، واستفاد من الغنائم وسخرها في تأليف القلوب على هذا الدين. وراسل الملوك وزعماء العالم حوله في خطابات ورسل لم يسبق لها المثيل في دعوات الأنبياء قبله، واستفاد من الوفود في تكليفها تبليغ من خلفها رسالة هذا الدين، وما ترك وسيلة ملائمة يمكن تسخيرها والاستفادة منها في الدعوة إلا استغلها أحسن استغلال. قال تعالى مبينا طريق الدعوة لنبيه محمد ﷺ ولأمته من بعده: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾[٣٤]. وهذه الآية تشير إلى المضمون الذي يدعو إليه الداعي إلى الله

سبحانه وتعالى لكنها لم تبين بشكل محدد الوسيلة والأسلوب، وإنما اكتفت بوضع الإطار العام لكل الوسائل والأساليب، ذلك أن أسلوب الدعوة إلى الله لا يمكن أن يخضع لقوانين مرسومة وأحكام مضبوطة لارتباطه بالمحيط والظروف والبيئة[٣٥].

ولقد كان من إعجاز القرآن الكريم أنه لم يتعرض لأحكام تفصيلية في موضوع الأسلوب والوسيلة، وإنما حدد السياج العام والإطار الكلي لهما في هذه الآية الجامعة، ثم أتبع هذا نماذج من سير الأنبياء عليهم السلام تبين كيف تعامل هؤلاء الأنبياء مع أقوامهم، وشرع لنا الاقتداء بهم[٣٦] في الدعوة، قال تعالى: **﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾**[٣٧].

ثم جاءت سيرته ﷺ المتميزة بثبوتها وإحاطتها وكمالها[٣٨] تزيد هذا الأمر إيضاحا وبيانا، وقرر القرآن الكريم الاقتداء بها، قال تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾**[٣٩].

كل هذا يخولنا القول بأن الأصل في الوسائل والأساليب هو الإباحة[٤٠]، فما لم يصادم نصا شرعيا فالداعية إلى الله سبحانه وتعالى مأذون له في الاستفادة من هذه الوسيلة أو ذاك الأسلوب.

ولو أردنا أن نحصر الوسائل والأساليب فيما استخدم في عهد التشريع لحرمنا الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى الكثير من الإمكانات المتاحة في هذا العصر.

هذا مع تعدد الوسائل والأساليب وإمكان الاختيار منها أما والداعية إلى الله سبحانه وتعالى مأمور بالدعوة[٤١] إلى الله وقد جدّت في عصره وسائل وأساليب أصبحت ذات تأثير فعال في نشر الدعوة إن لم تكن هي الطريق الأمثل لنشر الدعوة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وإذا أمر الله ورسوله بشيء كان

أمرا به وبما لا يتم إلاّ به[٤٢] (لذلك يجب على الدعاة إلى الله أن يختاروا من أساليب الدعوة وطرق التبليغ ما ظهر في زمانهم ذلك الذي إذا أخذوا به يستطيعون أن يجعلوا جهودهم أكثر ما يكون نفعا و إنتاجا)[٤٣].

وعلى هذا فإننا نخلص إلى القول بأن هذه الإمكانات الكبيرة المتاحة اليوم للدعوة سواء في وسائل الإعلام أو تيسير الاتصال والانتقال والتأليف والنشر والطباعة والإمكانات المالية وغيرها كل هذه تلقي مسئولية جسيمة تستوجب تضامنا مكينا يمكن من استغلال هذه الوسائل أحسن استغلال في نشر هذا الدين و إبلاغه للعالم أجمع، (ولو لم يقم المسلمون للدعوة بعد هذا النصر الإلهي المدهش فلا بد لهم أن يعرفوا جيدا أنهم لن يفلتوا من بطش الله مهما كانت الواجبات الأخرى التي يقومون بها من دون الدعوة)[٤٤].

المبحث الثاني: العمل الدعوي المعاصر

أولا: طبيعة العمل الدعوي في النصوص ا لشرعية وعند السلف

العمل الدعوي عمل عميق الزمان والمكان، يتسع بعده الزماني ليشمل الحياة الإنسانية بكاملها منذ آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أما المكاني فيمتد ليشمل المعمورة بكل أبعادها، وهو عمل متواصل مستمر يساير المدعو في كل خطواته حتى لا يتراجع أو ينحرف عن المسار الذي يراد دلالته وهدايته إليه.

ومثل هذا العمل الكبير نلحظ أن النصوص الشرعية في القرآن والسنة تؤكد أهمية تضافر الجهود للقيام به لأن العمل الفردي مهما كان فلن يتمكن من تقديم عمل يتناسب مع هذه الحاجة، ولا يعني هذا بحال التقليل من العمل الدعوي الفردي، ولكن يجب أن يكون الجهد المقدم يتلاءم مع مستوى الحاجات والتحديات، بالإضافة إلى أن التعاضد في الدعوة إنما يكون في الأساس من

الأفراد، والفارق بين الأمرين أن العمل الفردي مستقل كل بعمله والعمل الدعوي القائم على التعاون والتعاضد عمل منظم تتكامل فيه الجهود وتتآزر.

ولذلك فإننا هنا سنحاول إبراز بعض النصوص الشرعية التي تشير إلى هذا المعنى وتؤكد هذا التوجه:

١ ــ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾(٤٥).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾(٤٦).

(وأصل الأمة في كلام العرب الطائفة من الناس التي تؤم قصدا واحدا من نسب أو موطن أو دين أو مجموعة ذلك)(٤٧).

(وصيغة «ولتكن منكم أمة» صيغة وجوب لأنها أصرح في الأمر من صيغة افعلوا لأنها أصلها)(٤٨)، ولقد اختير للدعوة والدعاة لفظ «أمة» لأنه يشعر بمدى اتحادهم وتعاضدهم وتآلفهم أقوى مما يشعر تعبير آخر، فالقرآن الكريم حينئذ يرشد إلى أن يكون الدعاة إلى الله جماعة، وأن يكون أدب هذه الجماعة الاتحاد والتعاضد، ومن الواجب صرف الهمة إلى عمل الدعوة حتى تقام على نظام يحقق الأهداف، أما بقاؤها ملقاة إلى الدعاة و الأفراد فإن هذا يجعلها تفقد حيث يجب أن تكون(٤٩).

٢ ــ جاءت نصوص القرآن الكريم التي تتحدث عن دعوات الأنبياء السابقين وقد تضمنت معنى التعاضد والتعاون بين القائمين على الدعوة عند كل نبي:

(أ) يقول تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿**واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري**﴾(٥٠).

(ب) ويقول تعالى: ﴿**ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**﴾(٥١).

(جـ) ويقول تعالى: ﴿**واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون**﴾(٥٢).

٣ ـ في دعوة الرسول ﷺ نجد أنه يحرص على من يؤازره وينصره، ويقول: هل من رجل يحملني إلى قومه لأبلغ رسالة ربي؟ (٥٣).

ولما بعث الرسول ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل قال لهما: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وتطاوعا ولا تختلفا)(٥٤)، وذلك لما في كثرة الدعاة عند اتحادهم وقصدهم إلى إقامة مصالح ذات هدف واحد من نصرة للحقيقة والفكرة المعروضة ذاتها.

واستمر الرسول ﷺ في طريقه حتى تمكن من إقامة المؤسسة التي ترعى الدعوة وتقوم بشئونها، ولما مات الرسول ﷺ بادر المسلمون إلى بيعة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لتقوم الخلافة الراشدة التي تحملت الدعوة على منهاج النبوة الصحيح، وقد تولت في مقدمة أعمالها المضي بالدعوة ومواجهة المرتدين تحت مظلة المسئولية الجماعية للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى: التي تولاها المجتمع المسلم في ذلك الوقت.

ومضى الجهاد في سبيل الله بعد الرسول ﷺ قائما قويا وهو صورة من صور العمل الدعوي المنظم الذي ترعاه الدولة وتوليه ما يستحقه من عناية.

ونظمت شئون المسلمين المالية والإدارية، ودونت الدواوين بهدف القيام بالأمانة وأداء الرسالة التي تحملها السلف الصالح بعد الرسول ﷺ ولم تتوقف الدعوة إلى الله عن النمو إلا عندما تحولت قضية الدعوة إلى الله من مجهود وعمل تشرف عليه الدولة وتجعله نصب عينيها إلى عمل يتولاه الأفراد حسب اجتهاد كل منهم.

لقد كانت الدعـوة في نمو وتقدم عندما كانت مـؤسسات الدولة تنصبغ بهذه الصبغة، ولكن مع مر الأيام وطول العهـد وضعف الدولة وتباعد السنين ضعف الطـابع الدعـوي في مؤسسـات الدولـة، فتحولت المسئـولية إلى أفـراد يقومـون بأنشطة متفرقة لا يمكن أن تقوم بالـواجب و إن كانت لها مكانتها في الإصلاح. المهم في ذلك أن الصبغـة العـامة للـدعـوة في أوج نشـاطها هي طـابع التعـاون والتعاضـد القائم على رعـاية الـدولة واهتمامهـا. وهكذا ينبغي أن يكـون في كل جيل على مـر الأيـام. وهـذا هـو تأصيل دراستنـا للعمل الـدعـوي من خـلال المؤسسات.

ثانيا: العمل الدعوي المعاصر من خلال ا لمؤسسات

ميزاته:

العمل الـدعوي شبيـه بـالقافلـة يتخلى السـائر فيها عن ذاتـه، ويحرص على القيام بوظيفته بصفته جزءا من كل متكامل يؤدي الدور الملائم له أيا كان موقعه كما قال الـرسول ﷺ: (طوبى لعبد آخـذ بعنان فرسـه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قـدماه إن كـان في الحراسـة كان في الحراسـة و إن كـان في السـاقة كـان في الساقة)(٥٥).

العمل الدعوي بناء ضخم يحتاج إلى جهد متكامل حسب المرء فيه أن يشارك في هذا البناء، أمـا إذا فكر أن يقيم البناء بنفسه منفـردا عن غيره فلا هو يستطيع ذلك ولا البناء يتم(٥٦).

ولقد أشرنـا إلى أن العمل الدعوي القـائم على التعاضـد ذو مستند شرعي في القـرآن الكريم ودعـوات الأنبيـاء وسنة الـرسـول ﷺ، ولذلك فإن أولى مميـزات العمل الـدعـوي من خـلال المؤسسـات هـي الاقتـداء والتأسي بمن سلف من الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى.

وتلك تكون رصيدا كبيرا للعمل الدعـوي في مختلف الظروف والأحوال يهيئ ـ من خلال تجارب الماضي ـ التخطيط للمستقبل على نور وبصيرة.

وفي الأفراد صفات ومـؤهلات تهيئ للعمل الدعوي تكاملا فـريدا في العطاء لا يستطيع أن يتوفر من خلال قيام هؤلاء الأفراد أنفسهم بالعمل أوزاعا(٥٧).

ولكسب ثقـة المجتمع أهميـة كبرى في نجـاح العمل الـدعوي، سـواء أكـان الأفراد المطلوب كسب ثقتهم حكامـا أم علماء أم من سائر أفراد المجتمع فإن ثقة هؤلاء بـالمؤسسات الدعـوية وبالتـالي تقديم الدعم والتأييـد المادي والمعنوي لها يفوق بكثير الثقة بمجهود الأفراد.

وكما تؤثر المؤسسات الدعوية في المجتمع وتكسب ثقته فهي كذلك أقدر على التأثير في الميدان الذي تعمل فيه لما يتاح لها من قدرات وإمكانات تهيئ لها سبل الاستمرار ومواصلة العمل لفترات طويلة تفوق عمر الأفراد.

وإننا في العمل الدعوي نحرص على الابتعاد كل الابتعاد عن الحزبية وتقديس الأشخاص والتعلق بهم، وكم جرت الحزبية على الأمـة الإسلامية من انقسامات أصبحت بمفـردها عـائقـا كبيرا من عوائق الـدعوة، وعنـدمـا تقوم المؤسسـات الدعوية التي لا ترتبط بالأشخاص(٥٨) ولا تنتمي للأفراد فإنها تتيح للمخلصين العمل الدعـوي بعيدا عن التحزب والانتماء، وكـل يقدم ما في جعبتـه ويواصل غيره المسيرة من بعده.

ثم إن لكل مؤسسـة هدفا ووسـائل لبلوغ هذا الهدف، وإذا لم تكن الـوسائل ملائمـة لتحقيق الهدف يحدث ما يسمـى بالاختلاف المؤسسي بمعنـى أن تكون الأهداف أكبر من الوسائل المتاحة أو العكس.

وتحقيق الأهـداف ليس بالأمر السهـل إذ يتطلب إجراء دراسات وبحـوث ثم عمليات التخطيط والتنفيذ والتقويم.

وإذا طبقنا هـذه المقدمـة على الدعـوة فماذا نجد؟ قـد يقول قـائل إن أهداف الـدعـوة واضحـة ومحددة، وهـذا قـول غير عملي وغير قـابل للتطبيق ذلك أن للدعـوة أهدافها عنـد المتعلمين ولها أهدافها عنـد العوام، ولها أهدافهـا في البلد المسلم، ولها أهدافها إذا كانت موجهة إلى النصارى مثلا، أو إلى الوثنيين أو أهل البدع، أو مجتمعات إسلامية أخرى.

الدعـوة واضحة الأهداف، ولكنك لن تصل إلى تلك الأهـداف البعيدة دون تحقيق أهداف مـرحلية. إذن الأهـداف تختلف، وبالتـالي تختلف الوسـائل تبعا لذلك. من يحدد هـذه الأهداف؟، ومن يجعل هذه الأهداف واضحـة في أذهان الـدعـاة أنفسهم؟، ومن يخطط لبلـوغ هـذه الأهـداف؟، إنها المؤسسـات ذات الإمكـانات الماديـة والبشرية. بل من يتأكـد من تحقيق الأهداف ويـراقب ذلك ويختبر فاعلية الوسائل؟.

لذلك ينبغي أن يستقر في الأذهان اليـوم أن الدعوة عمل متخصص يجب أن يرتبط بجهـود دعاة متخصصين مؤهلين في إطار منظومـة واحدة يكمل بعضهم عمل بعض، ويتـولى التنسيق من أول خطوة إلى آخـرها مـؤسسات ذات كفـاءة وقدرة ترعى شئون الدعاة جميعا وفق أهداف مـرسومة حددت أساليبها ووسائلها وأُهِّل رجالها لتعرف أين وصلت في تحقيق الهدفين القريب والبعيد.

وإن لنا في جهود أعدائنا عبرة وقد رأينا جهودهم تنتشر في معظم ديار الإسلام تحت مظلـة مؤسسـات تنصيرية تقـوم على التخطيط والتنفيذ والتقـويم المنظم، والحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها.

وليس من المعقـول أن يكون لـلأعداء مـؤسسات تقـوم على نشر النصرانية أو غيرها من الأديان والملل الضالـة، وتتولى تلك المؤسسات وضع الخطط والبرامج وتسعى في توفير الإمكانـات البشرية وتقوم على جمع الأموال الطائلـة لتفسد ديار

الإسلام وتضل المسلمين ولا تجد هذه الجهود من المسلمين في المقابل سوى أفراد ذوي إمكانات وقدرات إذا اكتملت في جانب قصرت في جوانب أخرى. وإذا اهتدى نصراني واحد بجهود المسلمين الفردية فإن في مقابل ذلك يخرج من هذا الدين مئات إن لم نقل ألوف بجهود الأعداء القائمة على المؤسسات.

وإن هذا العمل من الأعداء يستدعي عملا مماثلا يتمكن من صد الهجمة ورد الكيل، بل أداء واجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى: حتى بين صفوف الأعداء. ولن يقوم بذلك سوى مؤسسات دعوية وعلمية ومالية تتضافر فيما بينها وتؤدي كل منها واجبا في إطار عمل دعوي منظم رشيد.

وإن العمل الدعوي من خلال المؤسسات يتيح الاستفادة من كل المؤسسات القائمة التي ينبغي أن تتلاءم أهدافها مع الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى: سواء أكانت هذه المؤسسات دعوية مباشرة أم من المؤسسات التعليمية أم الاجتماعية أم الاقتصادية بل يمكن من خلال هذا العمل القائم على المؤسسات أن تقوم المؤسسة الواحدة بتحقيق عدة أهداف تخدم العمل الدعوي كما لو قامت مؤسسة تعليمية بافتتاح فرع للتدريب المهني فإنها تتيح للمتخرج فيها فرصة لاكتساب مهنة تعينه على مواجهة أعباء الحياة والتفرغ للدعوة دون أن تمتد عينه إلى ما في أيدي الناس، وأقرب مثال لذلك يحضرني المركز الإسلامي الإفريقي في الخرطوم الذي كان يهتم بالإضافة إلى تعليم الطلاب بتدريبهم على إدارة مهنة تؤمن لهم العيش في بلادهم بعد عودتهم من الدراسة إلى ميدان الحياة، وإن كنت لا أدري عن أحوال المركز الآن بعد التطورات التي حدثت له أخيرا. وهناك أيضا معهد للفلاح المسلم في أندونيسيا ومعهد الطب الإسلامي[٥٩] وغيرهما، كلها تحقق إقامة الدعوة من خلال مؤسسة ذات أهداف متعددة.

وأخيرا كم رأينا من بعض الشباب الحماس للدعوة والرغبة في خدمة الدين لكن لا يعرفون لذلك سبيلا، فإن تركوا وجهودهم واجتهادهم أخطئوا الطريق إما من غلو يضر بهم وبالدعوة أو بتفريط يجعل الدعوة تخسر هذه الطاقات القيمة، وفي توجيههم إلى المؤسسات التي تخدم الدعوة حسن استغلال للطاقات وحماية للمجتمع من تفجيرها في غير مكانها.

والعصر الحاضر بإمكاناته وتحدياته هو عصر المؤسسات في كل قطاعات الحياة، وإن كنا نسمع في سابق أجيالنا الماضية تلقي التعليم من خلال شيخ في الكتاتيب، ثم تطور في هذا العصر ليصبح التعليم له مؤسساته المتميزة؛ فليست الدعوة أقل قدرا من ذلك فلا بد أن تتحول إلى المسار ذاته، وأن تنهض بمؤسسات دعوية تحيي هذه الفريضة وتقوم بهذا الواجب، وفي الفقرة التالية بيان أنواع هذه المؤسسات التي تخدم هذه الرسالة وترعاها.

أ ـ المؤسسات الدعوية المتخصصة

حفظ الدين هو أحد الضرورات الخمس، يقول الشاطبي ـ رحمه الله ـ: (ومجموع الضروريات خمس وهي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل)[٦٠] والضرورات ما (لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على خسارة وتهارج وفوت حياة وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين)[٦١].

وقد جعل حفظ الدين في مقدمة هذه الضروريات ثم بين الماوردي وأبو يعلى ـ يرحمهما الله تعالى ـ وظيفة الحاكم فقالا: (والذي يلزمه من الأمور عشرة أشياء أحدها حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبين له الصواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود وليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل)[٦٢].

فالديـن أول الضرورات وحفظه أهم وظائف الحكومـات . يقول تعالى : ﴿**ولتكن منكم أمـة يدعـون إلى الخير ويأمرون بـالمعـروف وينهون عن المنكـر وأولئك هم المفلحون**﴾[٦٣]، فهذا الأمر يتضمن إقامة هيئة تضطلع بأداء وظائف ثلاث :

الأولى : الـدعـوة إلى الله ، والثانيـة : الأمـر بـالمعروف ، والثـالثـة : النهي عن المنكر[٦٤] . وهـذه الهيئة المنـوط بها عمل الدعـوة إلى الله تأخـذ أشكالا متعـددة تتوافق مع إمكانات الداعية وطبيعة المجتمع .

وكانت الـدعوة في وقت من الأوقات تعتمـد على الجهود الفرديـة والمؤسسات المحدودة في أزمنة اعتمدت كل الأعمال على ذلك ، وسارت الـدعوة موازية لبقية الأعمال الأخـرى ، وهـذا لم يعـد مقبـولاً ونحن نـرى المؤسسـات الضخمـة التي تنهض للأمـور الاقتصاديـة والسياسية والتعليميـة والاجتماعية ، بل سـائر أمور الحياة ، ذلك أن الدعوة ـ وهي أسمى الوظائف وأهمها وأولاها بالعناية ـ لا بد أن تحظى بـالعنايـة المماثلة ، وأن تقـوم لها المؤسسات المتخصصـة في شئونها وتـرعى رسالتها وتقوم بكل أعمالها تخطيطاً وتنفيذاً وتقويماً .

و إن هذه المؤسسات الـدعوية ـ كما سبق أن أشرت ـ تنهض بـالدعوة وتحمي المجتمع من الغلو أو التقصير[٦٥]، وتوجه الطاقات وتشبع الرغبات وتمكن من تكامل الجهود لتقديم أفضل النتائج .

و إن ما اتجهت إليه هذه البلاد من إقامة مؤسسات دعوية تتولى شئون الدعوة ممثلة في وزارة الشئـون الإسلامية والأوقـاف والدعـوة والإرشاد ، ومؤسسـة أخرى كبرى ترعى شئـون الحسبة والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكـر ، ومؤسسـة ترعى شئون الإفتاء والبحوث العلمية ، ورابعـة ترعى شئون الحرمين الشريفين يدل كله على وعي و إدراك وحرص على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى : واهتمام بشئونها .

ومع هذه المؤسسات الحكومية مؤسسات أخرى ترعى شئون الشباب المسلم في العالم مثل الندوة العالمية للشباب الإسلامي، أو تهتم بإغاثة المنكوبين مثل هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

وهنا يجب أن تدرك هذه المؤسسات واجبها، وأن تعي رسالتها وتتحمل مسئوليتها وأن تطور من خططها وبرامجها مستغلة الإمكانات المتاحة والمكانة المرموقة لها في العالم، فتحمل الرسالة حملا حقيقيا جادًا ينهض بالدين ويبلغه أقاصي المعمورة اللاهثة المتعطشة له لإصلاح أحوالها في دينها ودنياها.

وإننا لا يمكن أن نقول لفرد من الأفراد يجب عليك إبلاغ دين الله ونشره في أرض الله وهو لا يملك من أمره شيئا بل يرى وسائل الاتصال وقد سخرت لنشر الشر والفساد حوله. إنا لا نقول ذلك، ولا نلومه على تقصيره في هذا الجانب، وإنما علينا أن نوجهه إلى الانضمام إلى هذه المؤسسات الدعوية والانخراط في سلكها أيا كان تخصصه أو طبيعة عمله أو الفن الذي يجيده، فهو بلا شك سيجد في المؤسسة الدعوية مكانا يلائمه يستطيع من خلاله أن يخدم دينه وأمته باتزان يحقق الغاية، ويحول بين ضياع الطاقة أو انحرافها. وتقصيره إنما هو في تركه الانضمام إلى هذه المؤسسات، وواجب الفرد حينئذ هو التفاعل مع هذه المؤسسات والعمل وفق هذه الفرص المتاحة والمشاركة في هذه الأنشطة والبرامج المعدة إعدادا سليما وفق ما لديه من مؤهلات وخبرات وقدرات.

لذلك فإن مهمة البلاغ المبين المطلوبة في عصرنا إنما مدخلها بعد إقامة هذه المؤسسات الدعوية، هو إحسان استغلالها في نشر الدين وأداء البلاغ المطلوب من الأمة؛ لذلك أقترح على وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وهي المؤسسة الأولى التي تحمل لواء الدعوة أن يكون لديها من البرامج ما يمكنها من الاستفادة من الإمكانات المتاحة سواء عن طريق الاستفادة من العلماء أو

من الشباب وطلبة العلم وتسخير الإمكانات المادية التي هيئت في هذا العصر من وسائل اتصال وأقمار صناعية فضائية وصحف ومجلات وإذاعة وتلفاز مع إمكانات مالية لهذا البلد لم تتح لغيرها، فهذا التكامل من الإمكانات البشرية والمادية يلقي المزيد من الآمال المعلقة على الوزارة لتنهض وتصل إلى العالم في كل بقاعه، وتبلغ هذه الرسالة التي أتصور أننا في هذا العصر لن نجد له مثيلاً من حيث توافر العلماء ووسائل الاتصال والمال في أي وقت مضى.

فالأنظار والآمال تتجه نحو الوزارة في تحريك الدعوة، ولا يعني هذا قصر الدعوة على العاملين في هذه المؤسسات، وإنما تتولى هذه المؤسسات إعداد الخطط والمناهج والبرامج، وتستفيد من القدرات البشرية المتاحة تماماً كما تفعل المؤسسات التعليمية التي وظيفتها إعداد النشء وتكوينه علميا وتربويا.

وإن دور المؤسسات الدعوية مكمل لذلك في استغلال هذه الطاقات التي أعدت وأنشئت وتمكينها من أداء واجبها الدعوي.

ب ـ المؤسسات العلمية:

إنما تقاس الأمم بما لديها من اهتمام بالعلم والعلماء، ذلك أن البناء ـ أي بناء ـ لا بد أن يسبقه العلم، وقد رفع الإسلام من شأن العلم والعلماء، وقرن شهادة العلماء بشهادته سبحانه وتعالى: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط**﴾(٦٦). وخص الله سبحانه وتعالى الدعوة بنصوص تؤكد أهمية العلم الشرعي فيها قال تعالى: ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾(٦٧).

لذلك فإن أساس الدعوة هو العلم موضوعا وأسلوبا ومنهجا، ومن أجل هذا فإن المؤسسات العلمية هي منطلق تكوين الدعاة ومحضن تربيتهم

وتنشئتهم . والطالب في المدرسة يتلقى من خلال المناهج الدراسية والمقررات المدرسية الاهتمام بالمجتمع ، والعمل على الإصلاح ، فينمو في نفسه حب الدعوة إلى الله ، وتمضي معه المناهج وهو يتلقى في المقررات الشرعية واجب المسلم تجاه مجتمعه وكيفية أداء هذا الواجب وضوابطه ، وفي الجامعة تتعمق الدراسة وتؤصل ويتمكن منها ، وهناك يتم توجيه الشاب للحذر من الغلو في الوقت الذي يعلم عواقب التقصير في الدعوة إلى الله . وفي الجامعة يتم التركيز أيضا على جانبين : أولهما : التخصص في الدراسة وطلب العلم في أي مجال من مجالات الحياة التي يخدم بها نفسه ودينه وأمته . والتخصص مطلب ملح للأمة[٦٨] يقول تعالى : ﴿**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾[٦٩] (فأمر أن يقوم بالجهاد طائفة ، وبالعلم طائفة أخرى . . . وبقيام كل طائفة منهم بمصلحة من المصالح تقوم المصالح كلها)[٧٠]. فدراسة الطلاب في الجامعة تتكامل لتقدم في مجموعها خدمة جليلة للأمة الإسلامية . والعمق في الدراسة و إمكان إضافة الجديد يقتضيان التخصص ، ومع أن عصرنا يقتضي هذا النوع من التعليم نظرا لسعة العلوم و تعدد فروعها ، فهو مع ذلك ذو تأصيل شرعي في نهج صحابة رسول الله ﷺ إذ كان منهم الفقيه والفرضي وصاحب القرآن وكاتبه و حامل السيف للقتال في سبيل الله .

الجانب الثاني الذي يتم التركيز عليه في الجامعة كيفية استفادة الطالب مما لديه من علم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فهو حلقة في سلسلة وفرد في مجموعة ، ولديه من المعلومات وحوله الإمكانات الكبيرة التي لو اتجه إليها بنفسه وحيدا ما استطاع أن يقدم من خلالها شيئا يذكر؛ ولذا فالطريق الأمثل هو تلك المؤسسات الدعوية التي تمثل القناة الموصلة بينه وبين الاستفادة والربط بين

العلم والدعوة، فالطبيب مثلا يزاول عمله، وبمفرده لا يتمكن من تقديم عمله الدعوي لكن من خلال بعض المؤسسات الدعوية التي تنظم الرحلات والقوافل الدعوية يستطيع أن يكون عنصرا بالغ الأهمية والفائدة في تكوين قافلة دعوية، ومثله المهندس الزراعي وغيره من أصحاب التخصصات الذين ينبغي أن تكون الجامعة مكانا لتوجيههم قبل تخرجهم إلى الميدان الملائم للدعوة إلى الله، فلا يغفل بعد تخرجه، وينغمس في وظيفته، وينسى حاجة الأمة إليه كما لا يصح أن يتحول الطبيب إلى واعظ أو داعية فرد لا يقدم شيئا ذا جدوى يتلاءم مع حاجة الأمة إليه.

لذلك فإن مسئولية قطاعات التعليم ومؤسساته ـ أيا كانت درجاتها ـ مسئولية كبيرة في تكوين النشء وتوجيهه وجهة دعوية وحمايته من الانحراف أو التقصير، ودلالته على الطريق الأمثل في أداء رسالته، سواء أكان أداء هذه المسئولية يتم في ضوء المناهج أم المقررات أم في ضوء طبيعة الجو العلمي المتوافر في القطاع التعليمي، أم من خلال تلقي الطالب من أستاذه التوجيه والتربية مع التعليم.

كما تتحمل المؤسسات التعليمية مسئولية الاهتمام بالمناهج الدراسية والمقررات والموضوعات فهي كذلك عليها (أن تختار الأكفاء من المعلمين والأساتذة الصالحين الذين يتعلم التلاميذ من أخلاقهم الفاضلة قبل ما يتلقون من أخلاقهم العلمية)[٧١]. فالمقرر والأستاذ هما عصب التعليم وبهما تنجح المؤسسة التعليمية في أداء رسالتها أو تخفق. وهما جميعا ينبغي أن يتجها نحو التعليم والعمل والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى: في إطار العمل الدعوي المؤسسي البعيد عن الارتجالية الفردية. وحينما تضع الجامعات وقطاعات التعليم الأخرى هذه الغاية أمامها فإن الطالب سيجد حينئذ في ميدان التعليم توجيها راشدا وأساسا مكينا للدعوة تظهر ثماره سريعا بين الخريجين عندما يواجهون المجتمع ويتحملون بأنفسهم أداء هذا الواجب.

المسئولية الدعوية لمراكز التعليم والجامعات في الجانب العلمي :

ومع المسئولية التعليمية لمراكز التعليم والجامعات التي أشرت إليها فإن لها أيضا مسئولية علمية أخرى تتمثل في إفادة المؤسسات الدعوية المتخصصة بما لديها من خبرات تسهم في التخطيط للدعوة وتقديم أنشطتها، ذلك أن المؤسسات الدعوية لا يتوافر فيها الخبرات العلمية الكافية لتغطية كل الدراسات والخطط والبرامج المطلوبة منها، والجامعات تزدحم بالخبرات العلمية المؤهلة، ولا غنى للمؤسسات الدعوية عن التخطيط والدراسات الاستراتيجية والإشراف على التنفيذ ثم تقويم تلك الخطط والدراسات وتطوير ما يمكن تطويره من أعمال. وقد يسبق التخطيط الحاجة إلى تقديم بحوث ودراسات علمية دقيقة تسند إلى هذه الخبرات العلمية المتاحة في الجامعات والموجودة في مراكز البحث العلمي فيها.

وعندما تعقد المؤتمرات الإسلامية التي عادة يتولى التنظيم لها إحدى المؤسسات الدعوية، فإن الحاجة ماسة إلى أساتذة الجامعات، واستنفار جهودهم في تقديم البحوث وإدارة الجلسات والمناقشات، وإسهامهم في هذا المجال مهم جدا لإنجاح أعمال تلك المؤتمرات.

وتمتد المسئولية الدعوية للمؤسسات العلمية لتشمل تقديم المشورة والرأي للمؤسسات الأخرى سواء ما كان منها مؤسسة دعوية أو مؤسسة أخرى لها إسهامات في قضايا الدعوة إلى الله.

وأخيرا فإن مما يسهم في أداء هذه المسئولية على المؤسسات العلمية هو إثراء مكتبة الدعوة ببحوث علمية يقوم بها العاملون في المؤسسات العلمية لخدمة النشاط الدعوي.

كل هذه في مجموعها تمثل صورة من صور المسئولية الدعوية للمؤسسات العلمية كي تتكامل الجهود بين تلك المؤسسات وتحقق الهدف المنشود.

مسئولية العلماء في العمل الدعوي:

للعلماء في المجتمع مكانة متميزة ترفعهم إلى محل القدوة والأسوة في المجتمع.

وأفراد المجتمع يتأسون في حياتهم العملية بخيارهم وأفاضلهم، ويرون في العلماء المرتبة الأولى في هذا الجانب، ويفزعون إليهم في كل ما يعرض لهم من مشكلات لمعرفة الرأي الشرعي في القضية النازلة، لذلك لا بد أن يكونوا على صلة بالمجتمع، يعرفون ما يجري فيه ويعطونه الرأي الأمثل لقضاياه ويوجهون مسيرته[٧٢] ويحمون شبابه من التقصير أو التفريط أو الغلو. فالحماس للدين الذي تم إيقاده من خلال التعليم يحتاج في التنفيذ إلى رعاية وتوجيه من العلماء، ومتى خلا المجتمع من توجيه العلماء وقع الخطأ في التنفيذ تقصيرا أو غلوا، ولذلك فالمأمول من أصحاب الفضيلة العلماء في أي مكان إدراك أهميتهم في المجتمع ودورهم في بيان مكانة الدعوة ومنافعها وضوابطها[٧٣]، ووعي ضرورة قربهم من الشباب والصبر عليهم وتحمل كثرة إلحاحهم ومواصلة إسداء التوجيه والنصح لهم. وكم رأينا الأحاديث التي تخبرنا عن جلوس النبي ﷺ مع أصحابه في حلق التعليم فلا يعرف له تميز عندما يأتي قادم غريب، وكم صبر على أسئلة الجاهلين وإلحاح وجفوة الأعراب الذين يفدون إليه من البادية[٧٤].

ولا يفقد المجتمع رشده وصوابه إلا إذا تخلى العلماء عن كرسي التوجيه والإرشاد. واعتزلوا ميدان العامة، واكتفوا بحلق التعليم فقط، وعندها سيتخذ الناس رؤساء في التوجيه لا يملكون القدرة والخبرة فتنحرف الأمة في دعوتها إما بالتقصير أو بسلوك أساليب ووسائل خاطئة أو باللحاق بمؤسسات تتسمى بالإسلام وليست منه في شيء.

إن حاجة الأمة إلى العلماء لا تقدر بثمن : النوازل كثيرة واختلاف الناس في طرق المواجهة تغري بالانحراف، وما تعدد الأحزاب وانقسام الأمة وتعدد آرائها بل وجود التحارش بين هذه الأحزاب إلا بسبب ضمور دور العلماء في أداء واجب التوجيه السليم لشباب الدعوة.

ومتى افتقدالناس الثقة بالعلماء أصبحت الأمة أوزاعا وأفرادا بلا قيادة علمية، فتتفرق بهم السبل وتتعدد المشارب ويهلك الناس في الأودية.

إننا نقترح على وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد أن تولي عنايتها لتنظيم هذه اللقاءات وتهيئ للعالم المكان والجو المناسب للقاء الناس به وتيسر سبل ذلك وتنفذه عبر اللقاءات العامة أو بواسطة أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمطبوعة أو الاتصال الشخصي بالهاتف، وألا يوكل للعالم ترتيب ذلك لأننا نرى أن الجهود الفردية دائما يتخللها القصور، والعمل الدعوي ينبغي أن ينطلق من المؤسسات، لما تتميز به المؤسسات عادة من قدرة علمية ومالية وإدارية وفنية تتيح لها تقديم أفضل الأعمال التي تحقق أسمى النتائج.

جـ ـ مؤسسات أخرى :

تحدثنا فيما مضى عن المؤسسات الدعوية والمؤسسات العلمية ومسئوليتها الدعوية، وفصلنا القول فيها لصلتها الوثقى بالعمل الدعوي، ونتحدث هنا عن أبرز المؤسسات القائمة في المجتمع التي تعاضد تلك المؤسسات وتؤازرها في أداء واجبها الدعوي.

وهذه المؤسسات تنطلق رسالتها الدعوية من كونها تعمل في مجتمع إسلامي ذي هدف واحد تسعى كل مؤسساته لتحقيق هذه الغاية كل بحسب مجال عمله. ذلك أن الإسلام منهج حياة متكامل شامل لكل جوانب النشاط الإنساني، ومن هنا تظهر المسئولية الدعوية لكل المؤسسات العاملة في

المجتمع . يأتي في مقدمة هذه المسئولية التزام جميع المؤسسات أيا كانت طبيعة نشاطها بالمنهج الإسلامي في تعاملها، وهذا أبلغ تعبير منها عن مدى قيامها واهتمامها بالواجب الدعوي المنوط بها .

وهنا أحاول أن أشير إلى بعض المؤسسات القائمة في المجتمعات الإسلامية منوها بمسئوليتها الدعوية على سبيل التمثيل لا الحصر لتلك المؤسسات :

مسئولية المؤسسات الاقتصادية:

إن من المسلم به أن المال هو عصب الحياة، وأن قوة المؤسسات من قوة ميزانيتها، وقد حبا الله سبحانه وتعالى هذه البلاد أموالا، وقامت فيها مؤسسات اقتصادية كبيرة لها دورها ونشاطها في المجتمع، ورسالتها تكمن في التعاون مع المؤسسات الدعوية والمؤسسات العلمية من أجل أداء رسالة هذه الأمة .

وكما تتحمل المؤسسة العلمية تهيئة الجو العلمي للناس فإن مسئولية المؤسسات الاقتصادية في العمل الدعوي هي في الإنفاق[٧٥] قال تعالى : ﴿**الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾[٧٦] فكل ينفق مما رزقه الله، العالم رزقه الله العلم فينفق منه، والاقتصادي رزقه الله المال فينفق منه[٧٧]، وبإنفاق المال والعلم تقوم الدعوة وتتكامل أركانها .

ويقول الرسول ﷺ : (لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار)[٧٨].

ولن تتمكن المؤسسات الدعوية من تنفيذ خططها وبرامجها ما لم تجد من المؤسسات الاقتصادية الدعم لتلك الخطط والبرامج لتتحول بجهود العلماء

وأموال الأثرياء[٧٩] إلى عمل دعوي على أرض الواقع بعد أن كانت آمالا على الورق. فالقوافل الدعوية لا تخطو في ميدان التنفيذ إلا بعد تحقيق السند المالي لها. وإغاثة المنكوبين من المسلمين في مختلف قطاعات الأرض لا تستطيع أن تعمل شيئا إذا خلت من مساندة المؤسسات الاقتصادية.

وليس من المعقول أن تتحدث إلى جائع أو تعظ عريانا قبل إشباع جوعه وستر عورته. وبخاصة وأن هؤلاء الفقراء المعوزين يجدون في أنشطة التنصير ما يحقق آمالهم عن طريق كسرة خبز أو قطعة قماش أو وصفة طبيب تكون مفتاحا لتحويل قلبه وتلويث فطرته. ولذلك فإن التكامل بين المؤسسات الدعوية والعلمية والاقتصادية أمر ضروري يفرضه واجب الدعوة إلى الله. وفي تصوري أن التكامل بين هذه المؤسسات سيحقق عملا دعويا فريدا، ذلك أن توافر الخطط والبرامج الموجودة لدى المؤسسات الدعوية والطاقة البشرية المتاحة لدى المؤسسات العلمية والدعم المالي المتوافر لدى المؤسسات الاقتصادية ستتيح ـ بإذن الله تعالى ـ تقديم عمل دعوي يؤتي ثمارا ذات قيمة في المجتمع، ولن نرى مثل هذا العطاء في جهود أية مؤسسة منفردة بل ولا في جهود الأفراد ما داموا أفرادا غير مرتبطين بعمل مؤسسي منظم.

مسئولية المؤسسات الإعلامية:

لا شك أن هناك العديد من العناصر التي تسهم في تكوين المجتمع ومعتقداته وتقاليده وسلوكه، ومن هذه العناصر التربية المنزلية، والمؤسسات التعليمية، والتقاليد والأعراف الاجتماعية، بيد أن وسائل الإعلام ذات قدرة فائقة في عرض الأفكار والقيم والإقناع بها[٨٠]، هذه الحقيقة أصبحت واقعا يشهد به الجميع. وإن وسائل الاتصال الجماهيرية تعد اليوم الجهاز المركزي

الـذي يوجـه الفـرد والمجتمع ، ولـذلك فإن المسئـولية الـدعـويـة للمؤسسـات الإعـلامية لا تقـل عن مسئوليـات المؤسسـات العلمية إن لم يكـن للمؤسسـات الإعلامية حق الصدارة والتفوق في التأثير.

ورسالة الإسلام منهج شامل للحيـاة يجب أن تتعاون كل المؤسسات المنضوية تحت لوائه في أداء هذه الرسـالة ، وإن كنا بداية نذكـر بما سبق أن أشرنا إليه وهو أن هذه المؤسسـات القائمة في المجتمعـات الإسلاميـة يأتي في مقدمة مسئـوليتها الدعوية الامتثال للمنهج الإسلامي في مضمونها الفكري وفي إطارها العام ، فلا يصلح أن تخرج عن ذلـك وهي تنتمي للمجتمع المسلم وتحمـل جـزءا من أداء رسالته الدعوية .

ثم إن المسئولية الـدعوية للمؤسسات الإعلاميـة تقتضي ضرورة صياغة منهج للإعـلام الإسلامي يعمل على سد الفـراغ الهائل في منظومـات المنهج الإسلامي كي يمكن بلورة أنموذج جديد للإصـلاح الإسلامي يقوم على الشمول والتكامل والواقعية(٨١) .

ويأتي ـ في تصـوري ـ في مقدمة أداء هـذه المسئولية أن تكسب رسالـة الإعلام ثقة الجمهور، فـانعدام الثقة يضعف التأثير الإيجابي ، والتـزام الصدق والصراحة الحكيمة والموضوعية يقصر الطريق بين هذه الوسائل والجمهور.

ويستتبع الحديث عن الصـدق والموضوعيـة الحديث عن سـلامة المضمـون ، وهذا يعني التكـامل مع المؤسسات ا لـدعويـة والعلمية بحيث يكـون المضمون الإعلامـي مضمونـا علميا دعويـا مبنيا على أسس إصـلاح المجتمع والمحـافظة عليه .

وينتظم في مفهـوم المسئوليـة الـدعـوية لـلإعـلام (أن يقدم الإسـلام في أجمل أسلوب وأحسن وسيلة وأدق وأوضح بيان ؛ فلا يجوز أن يصاغ ا لمعنى العظيم في

شكل دميم ولا أن تقدم الحقيقة في إطار يطفئ بهاءها، والاعتبار العصري أو الظرفي له وزنه الراجح في تحديد أساليب التبليغ.

وإن الإعلام المعاصر يبث من الباطل أكثر مما يبث من الحق، وهو يخدع الناس بهذا الباطل إذ يزينه لهم بالصورة واللون والحركة والإخراج والبسمة والتظرف.

حكاية عن ممثلة تخرج في برنامج تلفزيوني ملون يحف به ديكور أنيق ويقدمها مذيع لبق، بينما يعرض الإيمان في كتاب ذي ورق رديء، وتنفيذ مضطرب وفهارس متعبة، وتغليف سيئ، وعنوان باهت، أو يعرض الإيمان في خطبة يعوزها قوة المعنى وجمال الأداء)[٨٢].

إننا نريد وسائل الإعلام تحمل الإسلام ليس من خلال برامج دينية ذات دقائق معدودة ثم تعاود بث ما تشاء في بقية الساعات، وإنما المطلوب إدراك المسئولية عبر ا لمضمون والوسيلة، فالخبر الذي تبثه وكالات الأنباء، والتحليل السياسي والاقتصادي الذي تكتبه الصحافة، والتعليق الإخباري والصورة التي ترسلها الوكالات المصورة، بل فيلم الكرتون المتقن الذي يتابعه صغارنا ببراءة صباحا ومساء كلها تحمل رسالة غازية خطيرة على المجتمع[٨٣] إن لم تع المؤسسات الإعلامية مسئوليتها وتدرك واجبها الدعوي في المحافظة على المجتمع وصلاحه، ولذلك لا بد أن تكون كل هذه الأشياء تحمل الرسالة الإسلامية وتنطوي تحت لوائها وتسعى لتحقيق أهدافها.

وبهذه المناسبة فإني أقدم بعض المقترحات في هذا المجال:

١ ـ ضرورة التكامل بين مؤسسات الدعوة والتعليم والإعلام في أداء رسالة الإسلام وتبليغ الدعوة، ولا يصلح بحال من الأحوال أن تعمل واحدة من المؤسسات بمعزل عن الأخرى.

٢ ـ ضرورة التزام المؤسسات الإعلامية بمنهج الإسلام في الإطار العام وفي المضمون في كل ما يقدم عبر وسائلها .

٣ ـ إنشاء مركز عالمي للإعلام الإسلامي يتكون من بنوك للمعلومات ومراكز للبحوث والدراسات يكون حلقة الوصل بين المؤسسات العلمية والمؤسسات الإعلامية .

٤ ـ ضرورة المبادرة إلى إيجاد قناة فضائية تنقل الإسلام إلى أرجاء المعمورة .

مسئولية المؤسسات الاجتماعية :

وعندما نتحدث عن المؤسسات وأنشطتها فلن ننسى أن هناك بعض المؤسسات الاجتماعية ذات الأهمية الدعوية لقربها من المجتمع ممثلا في بعض أفراده الذين أوكل إلى هذه المؤسسة مهمة توفير الرعاية الاجتماعية لهم .

وفي مقدمة الحديث عن دور المؤسسات الاجتماعية نذكر دور الأسرة ومكانتها بصفتها مؤسسة اجتماعية ترعى شئونها أفرادها وتحميهم من الزلل ، وقد قال ﷺ : (كلكم راع وكل مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها)(٨٤).

وهي و إن لم تأخذ الطابع المؤسسي ا لمعروف فإن المسئولية الاجتماعية بين أفرادها واضحة ، والتكامل بين أطرافها والسعي في أداء هذه المسئولية يحقق أهمية كبيرة في رعاية النشء ، وقد قال الرسول ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)(٨٥).

ومن أبرز هذه المؤسسات دور الأحداث ورعاية الأيتام ورعاية الشباب، ودور المعوقين وكبار السن والمصحات التي تهتم بتقديم الرعاية الاجتماعية لمن هم في طور النقاهة من بعض الأمراض الاجتماعية، وكل هذه الدور تضم بين جنباتها فئات من المجتمع لها قيمتها وأهميتها، وهي في أمس الحاجة إلى أن تصل إليها رسالة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. فلم تكن حاجة الإنسان في يوم من الأيام تنحصر في رغبات بطنه فقط بل إن فطرة الإسلام تقتضي أن تشمل الرعاية الاجتماعية روح الإنسان وبدنه في آن واحد. وتتحمل هذه المؤسسات مسئولية مهمة في رعاية من لديها، وهي ليست مطالبة بأن تتولى مباشرة شئون الدعوة، وإنما عليها ـ كحد أدنى ـ إتاحة الفرصة وتهيئة الأجواء لتنفيذ ما تتقدم به المؤسسات الدعوية من برامج دعوية تضمن استقامة وصلاح هؤلاء الأفراد.

وهذه المسئولية يمكننا أن نسميها المسئولية السلبية التي تعني مجرد إتاحة الفرصة لغيرها ليعمل، وهذا في نظري هو أقل درجات المسئولية الملقاة على المؤسسات الاجتماعية، ذلك أن أمانة الدعوة إلى الله وحقوق الأفراد المنتمين لهذه المؤسسات تتطلب عملا إيجابيا يتمثل في السعي الحثيث لما فيه صلاح واستقامة من لديهم، وليس في إشباع بطونهم فقط.

إن المؤسسات الاجتماعية تهدف بالدرجة الأولى إلى استصلاح من بين يديها، وهذا الاستصلاح يقتضي العمل والتنسيق مع من لديه القدرة وهم القائمون على المؤسسات الدعوية. لذلك فإني أخلص إلى التنبيه على مسئولية المؤسسات الاجتماعية في التعاضد مع المؤسسات الدعوية لتحقيق الغرض المنشود من إقامة تلك المؤسسات، ومن دون هذا التكامل يصبح العطاء الاجتماعي ناقصا قد أهدر جانبا مهما من جوانب استقامة وانتظام حياة من لديه.

خاتمة

في هذا البحث الذي انتظم الحديث عن العمل الدعوي من خلال المؤسسات حرصت على تحديد طبيعة العمل الدعوي في هذه الرسالة الخاتمة التي تتميز بأمرين :

أولهما : كونها رسالة خاتمة جاءت للبشرية جمعاء من لدن بعثة محمد ﷺ إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ، فهي تمتد لتشمل أمما مختلفة الأقطار والثقافات والمناهج والأساليب .

والثاني : تضاعف الأمة المرسل إليها وتباعد زمانها ومكانها مما يستدعي مزيدا من الجهود يتناسب وطبيعة المرسل إليهم كثرة وتفرقا في الأرض والزمن .

كل هذا مع محافظة تامة على مضمون دعوي واحد لا يتغير في إطاره العام ، و إن كان ذا تأثر بطبيعة المجتمع في أولوياته ـ كما بينا ـ منذ أول بعثة من الرسل إلى بعثة محمد ﷺ .

وعندما نتابع نصوص القرآن الكريم وعمل الأنبياء عليهم السلام نجد أن هذا المضمون واحد في حين نجد الوسائل والأساليب تختلف من نبي إلى آخر بل في حياة النبي الواحد نجد الاختلاف بين فترة وأخرى .

وهذا العصر شأنه كسائر العصور مؤثر في اختيار الوسيلة والأسلوب . ونحن نرى أن الطابع العام لهذا العصر هو طابع المؤسسات سواء في حياة المجتمع والخدمات المقدمة له أو حتى في وسائل الأعداء في مواجهة الدين و إفساد المجتمع . والدعوة جزء من عمل هذا المجتمع لا بد أن يكون سعيها وعملها متوافقا مع سائر المؤسسات المماثلة الفاعلة في المجتمع ، ثم وهي تواجه هجمة الأعداء لا بد أن يقابل المؤسسة مؤسسة في قوتها بل أقوى منها لإمكان ردها

وصدها . ولأجل ذلك قلنا لا بد من قيام المؤسسات الدعوية المنظمة التي تضمن سلامة التخطيط والقدرة على التنفيذ ودقة التقويم ، وأن تتكاتف وتتعاضد هذه المؤسسات الدعوية مع المؤسسات العلمية التي فيها المدد البشري لتنفيذ الخطط والبرامج ، يساند ذلك كله الدعم المالي المقدم من المؤسسات الاقتصادية في المجتمع لتتحقق بذلك عناصر نجاح الدعوة وهي جودة الخطة ووعي المنفذ ، والمال المساند مع استغلال الميادين الدعوية المتاحة وفي مقدمتها المؤسسات الاجتماعية .

وإننا حينما ندعو إلى قيام هذه المؤسسة فإننا نذكر بأمرين :

أولهما : أن مسئولية إقامة هذه المؤسسات هي مسئولية الدولة ممثلة في الحاكم الذي يدرك أن سلامة المجتمع واستقامة حياته ورشده في تمكينه من أداء وظيفة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وفق الإمكانات المتاحة والأساليب الملائمة .

الثاني : أن هذه المسئولية الدعوية الموكولة إلى المؤسسات لا تعني بحال التقليل من جهود الأفراد ، وإنما تعني توحيد جهودهم واستثمارها واستغلالها أحسن استغلال بعيدا عن الارتجالية المشوبة بالأخطاء والقصور أو الغلو والإفراط .

وعندما نركز على أهمية المؤسسات الدعوية فإننا نرى أن هذا هو الطريق الأسلم لتنشيط العمل الدعوي فكم من فتى يمتلئ حماسا ورغبة في الدعوة لم يتمكن من تقديم شيء ينفع دينه وأمته ، ولو انضوى تحت لواء مؤسسة دعوية لكان عضوا نافعا يملأ فراغا مهما في خلية العمل الدعوي المطلوب .

أما المؤسسات التي لا تتخصص في الدعوة ولها نشاطها في المجتمع المسلم فإنها تحمل رسالة في هذا المجتمع ، وهي رسالة الدعوة إلى الله ، والإسلام منهج حياة المجتمع وحدة متكاملة تتحد أهدافها وتتضافر إمكاناتها لتحقيق تلك

الرسالـة، ولذلك فإن أداء هذه الرسالـة يتم بالتعاون مع المؤسسات الـدعوية. فـالمؤسسـات العلميـة تـوفـر للمجتمـع الأستـاذ المربي والبحث القيم والخطط المدروسة والمنـاهج السليمة والطـالب الداعيـة وكلها تلتقي لتهيئ للمـؤسسات الدعوية طاقة هائلة من الإمكانات العلمية والبشرية والمادية تتيح لها العمل على نطاق واسع في العالم الإسلامي وغيره.

وإذا تـوفر مع هـذه الإمكانـات ما تقـدمه المؤسسـات الاقتصاديـة من دعم معنوي ومادي يتمثل الـدعم المعنوي في تمثيل المجتمع المسلم أحسن تمثيل حينما تلتزم في عملهـا وتعاملها بالتشريع الإسـلامي، وتقدم الأسوة والقـدوة لغيرها، وتشهد بعملها على صلاحية هذا التشريع وشموليته للحياة.

أمـا الدعم المادي فيتمثـل في دعم الخطط والبرامج التي تقـوم على إعدادهـا وتنفيذها المؤسسات العلمية والدعوية.

ويأتي دور المؤسسـات الإعـلاميـة في حمل هـذا المضمـون المدروس الملائم إلى قطـاعات المجتمع، ومن دون هـذه المؤسسـة سيبقى العمل الدعـوي محدودا في دائرة ضيقـة، أمـا إذا حملتـه القنـوات الفضـائيـة وأجهـزة التلفـاز والـراديـو والصحف، وبثته وكـالات الأنباء في أخبارهـا وتقاريـرها وتحليلاتها فسنـرى له الأثر الكبير في كل بقعة يصل إليها. وإن من الأهمية بمكان أن تتكامل وتتعاون هذه المؤسسات في المجتمع الإسلامي على أداء رسالتهـا الدعوية لينهض العمل الدعوي ويؤدي دوره المطلوب.

وإني في نهاية البحث أخلص إلى التوصيات التالية:

١ ـ أهميـة قيام المؤسسات الدعـوية سواء مـا كان منها رسميا أو يأخـذ طابع الإشراف الرسمي ويدار من قبل هيئة مستقلة.

٢ ـ أهمية توجيه الشباب إلى هذه المؤسسات الدعوية لاستثمار طاقاتهم في عمل دعوي يتناسب وما لديهم وحاجة الأمة إلى هذه الجهود.

٣ ـ أهمية سعي المؤسسات الدعوية الرسمية وفي مقدمتها وزارة الشئون الإسلامية إلى استغلال كل الوسائل والأساليب المتاحة المباحة في نشر هذا الدين بدءا من الكتاب وانتهاء بالقنوات الفضائية.

٤ ـ أهمية تعاون المؤسسات الدعوية مع المؤسسات العلمية والمؤسسات الأخرى في أداء واجب الدعوة بحيث يكون لدى المؤسسات الدعوية الخطط والبرامج الوافية الملائمة للتنفيذ وألا تتوانى المؤسسات العلمية في تقديم الرأي والخبرة والطاقة العلمية اللازمة لتنفيذ تلك البرامج، كل هذا بدعم مادي من المؤسسات الاقتصادية القائمة في المجتمع الإسلامي.

٥ ـ أهمية قيام وزارة الشئون الإسلامية بربط الشباب بالعلماء وتوثيق الصلة بينهم وإقامة البرامج التي تمكن من التقاء العلماء بأفراد المجتمع ومعرفة قضاياهم ومساعدتهم في إيجاد الحلول لمشكلاتهم مما يؤكد احترام الشباب للعلماء وتقدير آرائهم والامتثال لتوجيهاتهم.

الهوامش

(١) سورة النحل : الآية رقم ٣٥ .

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر، جـ٣، ص ٢٤٥، حديث رقم ١٣٨٥ .

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٣/ ٢٤٨ .

(٤) انظر: زيد بن عبد الكريم الزيد، الوسطية، ص ٨ .

(٥) سورة الحديد : الآية رقم (٢٥) .

(٦) انظر محمد نسيب الرفاعي، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، جـ٤، ص ٣١٤ .

(٧) سورة الأنعام، الآية رقم (٨٢) .

(٨) انظر : د. علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله، جـ ١، ص٥٦ .

(٩) القائل هو فضيلة الشيخ أبي الحسن الندوي .

(١٠) أبو الحسن الندوي، كيف توجه المعارف في الأقطار الإسلامية، ص ١٩ .

(١١) انظر: المراغي، تفسير المراغي، جـ ٤، ص ٣٠، وقال: (والخلاصة أن هذه الخيرية لا تثبت لهذه الأمة إلا إذا حافظت على هذه الأصول الثلاثة، فإذا تركتها لم تكن لها هذه المزية). وانظر: أمين أحسن إصلاحي، منهج الدعوة إلى الله، ص ٢٩ .

(١٢) سورة آل عمران : الآية رقم (١١٠) .

(١٣) انظر: د. عبد الحميد أبو سليمان، تجديد الدعوة ـ بحث ضمن بحوث الندوة العالمية للشباب الإسلامي المطبوعة بعنوان الدعوة الإسلامية : الوسائل، الخطط، المداخل، ص ١٠٧ ـ .

(١٤) سورة الذاريات : آية (٥٦) .

(١٥) حديث صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: الجزء الثاني، ص ١٤، حديث رقم (١٤٦٥) .

(١٦) سورة آل عمران : الآية رقم (١٩) .

(١٧) انظر محمد أحمد العدوي، دعوة الرسل إلى الله، ص ١ .

(١٨)سورة الأنبياء : الآية رقم (٢٥) .

(١٩)انظر: محمد أحمد العدوي، دعوة الرسل إلى الله تعالى : ، ص ١٥٣ .

(٢٠) سورة هود : الآية رقم (٨٤) .

(٢١)سورة الأعراف : الآية رقم (٨٠) .

(٢٢) التوحيد يستلزم بعد الإقرار بالشهادتين إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة وسائر أركان الإسلام .

(٢٣) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٢٦١ .

(٢٤) سورة الشعراء: الآيات من رقم ٤١: ٥١.

(٢٥) انظر: محمد نسيب الرفاعي، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، الجزء الأول، ص٢٧٣.

(٢٦) الأكمه هو الذي يولد أعمى.

(٢٧) سورة آل عمران: الآية رقم (٤٩).

(٢٨) انظر: محمد نسيب الرفاعي، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، جـ٢، ص ٤٨٢.

(٢٩) سورة يوسف: الآيات من ٣٦: ٤١.

(٣٠) سورة الشعراء: الآية رقم (٢١٤).

(٣١)انظر: الذهبي، السيرة النبوية، ص ٨٢.

(٣٢)صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري، جـ٨، ص ٥٠١، ك ٥٦، ب٢.

(٣٣) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٣، ص ١٣٨ وما بعدها.

(٣٤) سورة النحل: الآية رقم (١٢٥).

(٣٥) انظر: أبا الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، ص ١١.

(٣٦) انظر: محمد نسيب الرفاعي، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، جـ٢، ص ١٣٩.

(٣٧) سورة الأنعام: الآية رقم (٩٠).

(٣٨) انظر: سليمان الندوي، الرسالة المحمدية، ص ٦٨.

(٣٩) سورة الأحزاب: الآية رقم ٢١.

(٤٠) انظر: محمد أبي الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٩٠.

(٤١) انظر: محمد أبي الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص٣١، وقال: اتفق العلماء على وجوب الدعوة إلى الله واختلفوا في نوعية الوجوب هل هو على التعيين أم على الكفاية؟...)

(٤٢) انظر: عبد الرحمن السعدي، رسالة في أصول الفقه ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، الجزء الرابع (الفقه، المجلد الأول، ص ٢٥)

(٤٣) أمين أحسن إصلاحي، منهج الدعوة إلى الله، ص ٥٧.

(٤٤) وحيد الدين خان، إمكانات جديدة للدعوة، ص ٢٢. ومقصود الكاتب هنا الذي نقلت النص عنه أنهم لن يفلتوا من بطش الله سبحانه إن لم يغفر لهم.

(٤٥) سورة آل عمران: الآية رقم (١١٠).

(٤٦) سورة آل عمران: الآية رقم (١٠٤).

(٤٧) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، جـ٤، ص ٣٧.

(٤٨) المرجع السابق.

(٤٩) انظر: محمد الخضر حسين، الدعوة إلى الإصلاح، ص ٢٣.

(٥٠) سورة طه: الآيات من رقم ٢٩: ٣٢.

(٥١) سورة الأعراف: الآية رقم (١٥٩).
(٥٢) سورة يس: الآيتان رقما (١٣ و ١٤).
(٥٣) انظر: الصالحي، سبل الهدى والرشاد، جـ٢، ص ٥٩٣.
(٥٤) حديث صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، جـ٦، ص ٣٤١، رقم ٧٩٤٣.
(٥٥) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر، جـ٦، ص٨١، كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو.
(٥٦) انظر: سعيد حوى، دروس في العمل الإسلامي، ص ٢٦.
(٥٧) انظر: د. علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله، جـ١، ص٢٠١.
(٥٨) انظر: طه جابر العلواني، من وسائل الدعوة، ص ٨٠. من بحوث الندوة العالمية للشباب الإسلامي المطبوعة تحت عنوان الدعوة الإسلامية: الوسائل، الخطط، المداخل.
(٥٩) انظر: طه جابر العلواني، من وسائل الدعوة، ص ٨٠، من بحوث الندوة العالمية للشباب الإسلامي المطبوعة تحت عنوان الدعوة الإسلامية: الوسائل، الخطط، المداخل.
(٦٠) الشاطبي، الموافقات، جـ٢، ص ٤.
(٦١) المرجع السابق.
(٦٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٥، وأبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص ٣٧.
(٦٣) سورة آل عمران: الآية رقم (١٠٤).
(٦٤) انظر: د. محمد بن عبد الله العربي، النظم الإسلامية نقلا عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد رقم ٣٨ لعام ١٤١٣هـ.
(٦٥) انظر: محمد حسين الذهبي، مشكلات الدعوة والدعاة، ص ٣٣.
(٦٦) سورة آل عمران: الآية رقم (١٨).
(٦٧) سورة يوسف: الآية رقم (١٠٨).
(٦٨) انظر: السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ص ١٨٠.
(٦٩) سورة التوبة: الآية رقم (١٢٢).
(٧٠) السعدي، القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص ١٧٠.
(٧١) السعدي، وجوب التعاون بين المسلمين، ص ٢٦.
(٧٢) انظر: د. مانع الجهني، الصحوة الإسلامية، نظرة مستقبلية، ص٥٥.
(٧٣) انظر: السعدي، الجهاد في سبيل الله (رسالة مطبوعة ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، القسم الخامس، الجزء الأول، ص ١٦٩)
(٧٤) انظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٥٤٦ ـ ٥٤٨.

(٧٥) انظر: السعدي، الجهاد في سبيل الله. رسالة ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي (القسم الخامس، الجزء الأول، ص ١٧٠).

(٧٦) سورة البقرة: الآيات أرقام ١ و ٢ و ٣.

(٧٧) انظر: القرطبي، تفسير القرطبي، جـ ١، ص ١٧٩، وابن قاسم، فتاوى ابن تيمية ١٤/ ٢١٢.

(٧٨) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري، جـ ١٣، ص ٥٠٢، كتاب رقم ٩٧، باب رقم ٤٥.

(٧٩) انظر: د. محمد حسين الذهبي، مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحاضر وكيفية التغلب عليها، ص ١٦.

(٨٠) انظر: د. سعيد إسماعيل صيني، مدخل إلى الإعلام الإسلامي، ص ٧٨.

(٨١) انظر: عبد القادر طاش، دراسات إعلامية ص ٤٤.

(٨٢) زين العابدين الركابي، بحث النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات الإنسانية، (بحث مطبوع ضمن كتاب الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، ص ٢٠٠ الصادر عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي).

(٨٣) انظر: د. عبد القادر طاش، دراسات إعلامية ص ٤٨.

(٨٤) حديث صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، جـ ٤، ص ١٨٣، رقم ٤٤٤٥.

(٨٥) حديث صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، جـ ٤، ص ١٨١، رقم ٤٤٣٥.

المصادر والمراجع

١ ـ الأحكام السلطانية، القاضي أبو يعلى، تصحيح محمد حامد الفقي، شركة مكتبة أحمد بن سعد بن نبهان، أندونيسيا، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ.

٢ ـ الأحكام السلطانية، القاضي أبو الحسن الماوردي، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، الطبعة الأولى ١٣٢٧هـ.

٣ ـ إمكانات جديدة للدعوة، وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان، المختار الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٤ ـ البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ.

٥ ـ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار شرح جوامع الأخبار، الشيخ عبد الرحمن السعدي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٦ ـ تجديد الدعوة، د. عبد الحميد أبو سليمان. بحث ضمن بحوث الندوة العالمية للشباب الإسلامي المطبوعة تحت عنوان (الدعوة الإسلامية: الوسائل، الخطط، المداخل) الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٧ ـ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م
٨ ـ تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٦م.
٩ ـ تفسير المراغي، الشيخ أحمد بن مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
١٠ ـ تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، محمد نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ.
١١ ـ الجهاد في سبيل الله، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (رسالة مطبوعة ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، القسم الخامس، الجزء الأول) مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة ١٤١١هـ.
١٢ ـ دراسات إعلامية؛ د. عبد القادر طاش، دار الصافي للثقافة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
١٣ ـ دروس في العمل الإسلامي، سعيد حوى، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
١٤ ـ الدعوة إلى الإصلاح، محمد الخضر حسين، جمعية الإصلاح بالإمارات العربية، فرع الفجيرة، مطبعة صوت الخليج.
١٥ ـ دعوة الرسل إلى الله، محمد بن أحمد العدوي، دار الفكر.
١٦ ـ الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة.
١٧ ـ رسالة في أصول الفقه، الشيخ عبد الرحمن السعدي (المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، القسم الرابع)، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة ١٤١١هـ.
١٨ ـ الرسالة المحمدية، سليمان الندوي، تعريب محمد ناظم الندوي، مكتبة دار الفتح، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.
١٩ ـ روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة أبو الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
٢٠ ـ السياسة الإعلامية للمملكة، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٤هـ.
٢١ ـ السيرة النبوية، محمد أحمد الذهبي، تحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
٢٢ ـ الصحوة الإسلامية: نظرة مستقبلية، د. مانع الجهني، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.
٢٣ ـ صحيح البخاري، الإمام البخاري، مطبوع مع فتح الباري لابن حجر العسقلاني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
٢٤ ـ صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

٢٥ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، مكتبة المعارف، الرباط.
٢٦ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
٢٧ ـ فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٢٨ ـ قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.
٢٩ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن، الشيخ عبد الرحمن السعدي، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٢هـ.
٣٠ ـ القواعد والفوائد الأصولية، أبو الحسن علاء الدين بن اللحام، تصحيح محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٣١ ـ كيف توجه المعارف في الأقطار الإسلامية، أبو الحسن الندوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
٣٢ ـ مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٣٨، العام ١٤١٣هـ.
٣٣ ـ مدخل إلى الإعلام الإسلامي، د. سعيد إسماعيل صيني، دار الحقيقة للإعلام الدولي، القاهرة ١٤١١هـ.
٣٤ ـ المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٣٥ ـ مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحاضر وكيفية التغلب عليها، د. محمد حسين الذهبي، الجامعة الإسلامية بالمدينة ـ من بحوث المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة و إعداد الدعاة ـ الطبعة الأولى.
٣٦ ـ منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، تعريب سعيد الأعظمي وزميله، دار نشر الكتاب الإسلامي، الكويت.
٣٧ ـ من وسائل الدعوة، طه جابر العلواني ـ من بحوث الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مطبوع ضمن كتاب بعنوان الدعوة الإسلامية: الوسائل، الخطط، المداخل ـ الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
٣٨ ـ الموافقات، الإمام أبو إسحاق الشاطبي، دار الفكر للطباعة والنشر.
٣٩ ـ النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات الإنسانية، زين العابدين الركابي ـ بحث ضمن كتاب طبعته الندوة العالمية للشباب الإسلامي بعنوان الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ـ الرياض، الطبعة الثانية.
٤٠ ـ وجوب التعاون بين المسلمين، الشيخ عبد الرحمن السعدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.